مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13، العدد 52 (خريف 2002)، ص 5

آفاق السلام في الشرق الأوسط*

وليد الخالدي

بينما أقف أمامكم في هذه الأيام المضطربة لأتكلم على آفاق السلام في الأراضي المقدسة، لا يسعني إلاّ أن أذكر، كفلسطيني وكمؤرخ، أن هذا البلد كان مصدر وعد بلفور، وهذه المدينة مسقط رأسه. والواقع أن كون السلام في الأراضي المقدسة لا يزال مفقوداً في سنة 2002 إنما يرجع في معظمه إلى الرسالة التي سطرها في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 1917 آرثر جيمس بلفور إلى اللورد ليونيل روتشيلد، قبل ثمانية أعوام فقط من ولادة المتحدث إليكم.

لم يكن في رسالة بلفور إلاّ 68 كلمة. لكن ربما لم يشهد التاريخ إلاّ قلة من الحالات المشابهة التي أفضى فيها عدد قليل كهذا من الكلمات إلى هذه المعاناة والهلاك لهذا العدد الكثير من الناس في حدود عمر من الزمان، مع النذير بالمزيد.

وإن ما يشهد عليه هذا لهو الرعونة الفائقة والثمن الباهظ للكارتوغرافيا الإمبراطورية التي كان هذا البلد يختال بها في الماضي، والتي ما زال – على ما يبدو – يحتفظ بما تخلَّف من الحنين إليها حتى في أيامنا هذه.

لقد تغيرت الأزمنة، طبعاً. وانتقل مقر روما منذ زمن من ضفاف التايمز إلى ضفاف البوتوماك، حيث تقرع طبول الحرب أكثر وأسرع كل يوم. وبات خلفاء جورج بيكو ومارك سايكس يتكلمون بلكنة أميركية واضحة.

أمّا مدى تغير العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم العربي منذ أيام بلفور، فيمكن قياسه بالمسافة بين إرسال الرئيس ويلسون سنة 1919 بعثة كينغ – كرين للتأكد من النيات الديمقراطية لشعوب الشرق الأدنى وبين أوامر واشنطن الفوقية اليوم بأن يتخلى الفلسطينيون عن زعيمهم المنتخب بصورة ديمقراطية – الزعيم العربي الوحيد المنتخب من المحيط إلى الخليج، ربما مع استثناء بلد عربي آخر واحد.

وأمّا مدى تغير المشاعر والآراء الإقليمية حيال الولايات المتحدة منذ أيام بلفور، فيمكن أن يقاس بالمسافة بين المطالبة العربية شبه الإجماعية من بعثة كينغ –

(*) محاضرة أُلقيت في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية في جامعة لندن بتاريخ 8 تشرين الأول/أكتوبر 2002، بمناسبة منح الكاتب جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وموضوعها "فلسطين والقدس وقضية الشعب الفلسطيني"، تقديراً لفضله الكبير في إثراء الحياة الثقافية والعلمية العربية، وخصوصاً في مجال المسألة الفلسطينية وقضية الشعب الفلسطيني.

كرين بأن تتولى الولايات المتحدة الوصاية على البلاد العربية إذا تم التوصل إلى إقامة نظام وصاية، وبين الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.

لم يزل رؤساء الولايات المتحدة يتعاطفون بانتظام مع إسرائيل منذ سنة 1948، ولا يأبهون بانتظام مماثل لمعاناة الفلسطينيين. فأيزنهاور، على حزمه حيال إسرائيل، كان غير مهتم بأمر الفلسطينيين. كارتر كان أول رئيس يعترف بالفلسطينيين كبشر وكائنات سياسية. بوش الأب، بصفته مبعوث بلده إلى الأمم المتحدة، كان أكثر الرؤساء الأميركيين انتقاداً لمعاملة إسرائيل للفلسطينيين. كما أن بيل كلينتون أنفق وقتاً رئاسياً وجهداً لا سابق له في المحادثات مع الإسرائيليين والفلسطينيين. وقد ألغي هذا كله بقسوة بوش الابن غير المبررة، واعتماده شبه التام للموقف الإسرائيلي، على الرغم من تبنيه اللفظي المتناقض لإنشاء دولة فلسطينية قادرة على البقاء.

هذا الموقف العدائي الذي اتخذه بوش الابن سبق الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وبدت ملامحه في عدة لفتات مبكرة: استقباله شارون قبل أي زعيم من الشرق الأوسط؛ إقامة أول مأدبة عشاء رسمية في البيت الأبيض للرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف؛ إعادة توكيد تعهده الانتخابي بنقل السفارة من تل أبيب إلى القدس؛ رفضه إرسال دعوة إلى عرفات، كما بدت ملامحه في اختياره نائب الرئيس ووزير الدفاع وعشرات من كبار مساعديهما الذين كانوا، كمجموعة، معروفين لدى الجمهور بمواقفهم الصقورية المتطرفة المنحازة إلى إسرائيل حتى قبل تعيينهم.

رئيس الولايات المتحدة هو المسؤول الأميركي الرسمي الوحيد المنتخب من قبل الأمة. وهذا الأمر، مشفوعاً بصلاحياته الدستورية في السياسة الخارجية، يعطي نزعاته الخاصة دوراً غير مباشر، أو لاشعورياً في الأغلب، لكنه مهم مع ذلك، في صوغ السياسة. وتشتمل هذه النزعات الخاصة، في حالة بوش الابن، على قناعاته الإنجيلية الميالة في الأرجح إلى الاعتقاد بعودة المسيح المبكرة، وقلقه المفرط – على غرار والده – في شأن بقائه في الرئاسة ولاية واحدة، و"عقدة" الرئيس "المطعون في شرعية انتخابه"، ونفوره الغريزي من كلينتون، وذهنيته التكساسية الذكورية الفجة، وافتتانه بشخصية شارون الوحشية و"إنجازاته"، ودافعه إلى أن يبزّ أباه أو يثأر له في العراق، وجهله العميق في شؤون الشرق الأوسط وشعوبه – ما خلا التاريخ التوراتي للعبرانيين القدماء.

يبدو أن بوش الابن كان عزم، حتى قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، على أن يعكس سياسة كلينتون في الشرق الأوسط المبنية على إيلاء الأولوية للمشكلة الفلسطينية، وأن يقصيها إلى مرتبة متدنية، متحاشياً بذلك موقف والده الصدامي حيال تل أبيب في شأن المستعمرات؛ ذلك الموقف الباهظ الثمن انتخابياً. ومن سخرية

الأقدار أن كلينتون مهد هذا السبيل أمام بوش الابن يوم أنحى بكامل اللوم عن انهيار محادثات كامب ديفيد، لأسباب تخدم مصالحه، على عرفات وحده، بينما عزز تولي شارون السلطة في إسرائيل عزوف بوش الابن عن معالجة مشكلة فلسطين، لأن القيام بذلك يعني التصادم لا محالة مع شارون، الذي عده بوش مرشده في شؤون الشرق الأوسط والتمس شراكته فيها.

حتى قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بزمن طويل، كان ديك تشيني اقترح قيام الولايات المتحدة منفردة بالدور الأساسي في ردع أي تحد إقليمي ينطوي على حصول دول، كالعراق، على أسلحة الدمار الشامل.[1] وحتى قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بزمن طويل، امتلك الصقور الذين يرعاهم كل من ديك تشيني ودونالد رامسفيلد، والذين باتوا اليوم في السلطة (ريتشارد بيرل، وبول وولفوفيتز، ودوغلاس فيث، وجون بولتون، ومن إليهم)، استراتيجيا مغالية جديدة، جاهزة للشرق الأوسط، من أهم مبادئها أن العراق، لا الصراع العربي – الإسرائيلي، هو القضية المركزية في الشرق الأوسط؛ وأن العراق، لا مشكلة فلسطين، يجب أن يكون بؤرة النشاط لتغيير البيئة الاستراتيجية في الشرق الأوسط. طبعاً، إن لهذا التركيز على العراق جذوراً إسرائيلية ترقى، على الأقل، إلى غارة بيغن على مفاعل أوزيراك سنة 1981، وهذا ما لم يزل يدعو إليه شارون بحرارة منذ ذلك التاريخ. والنصف الثاني من الاستراتيجيا الموجهة ضد العراق، في نظر ريتشارد بيرل ومشاركيه، هو إلغاء إسرائيل لاتفاق أوسلو، ورفض مبدأ الأرض في مقابل السلام، وإعادة احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة. وفعلاً، قدم بيرل وزملاؤه سنة 1996 هذه الأفكار خطياً إلى بنيامين نتنياهو، الذي كان يتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية يومها. ويتولى السيد بيرل اليوم رئاسة مجلس السياسة الدفاعية في البنتاغون. فهل من المستغرب، والحالة هذه، ألاّ يرى رامسفيلد، الذي تولى وزارة الدفاع مرتين، بلداً محتلاً عندما ينظر إلى بلد كهذا؟

لقد أضفت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر وقعاً هائلاً على هذه النصائح والاستراتيجيات، معمّقة عداء بوش الابن لعرفات. وعلى خلفية كهذه يجب أن يُنظر أيضاً إلى حرب بوش/بلير على العراق.

والواقع أن ثمة علاقة جدلية حاسمة بين الحرب المخطط لها على العراق وبين مستقبل الصراع العربي – الإسرائيلي. فالمرحلة العسكرية في العراق قد تكون أكثر أو أقل صعوبة، وانعكاساتها خارج العراق قد تكون أكثر أو أقل خطورة. لكن حتى وإن أنجزت بأقل انعكاسات ممكنة – وهذا افتراض مشكوك فيه – فسوف تطلق مرحلة جديدة عصيبة لما بعد صدام، مرحلة تتسم بعدم الاستقرار والتشوّش، يستحيل التنبؤ بطولها، وتعقيداتها، وتشعباتها.

إن إضافة هذا البعد الجديد من التشوّش وعدم الاستقرار على الجانب الشرقي من الهلال الخصيب، بينما تُهمَل على الجانب الغربي الجروح الملتهبة في فلسطين، والجنوب اللبناني، وسورية، لأمر على قدر من اللامسؤولية لا يصدق. لكن لئن كان هذا شهادة إضافية على انعدام الذاكرة المؤسساتية لدى العملاق الأميركي وعلى هزيمة "عروبييه" على أيدي صقوره المنحازة إلى إسرائيل، فماذا يقول المرء عن عجز البلد الذي أنتج السير بيرسي كوكس، والسير أرنولد ويلسون، وغرترود بل، عن إطلاع الأخ الأكبر على فكرة أن العبث بالبنية العراقية ليس لعب أطفال؟

أمّا بالنسبة إلى فلسطين فإن الحرب على العراق إنما هي دعوة صريحة، شيك على بياض، وضوء ساطع أخضر لشارون كي يستغل إلى أقصى حد، في انتظار "حل" الوضع العراقي، قائمة الشروط والقيود التعجيزية التي فرضها بوش الابن على الفلسطينيين في بيانه الصادر في 24 حزيران/يونيو، والذي حدد فيه مطالبه من الفلسطينيين. وإذا ما نُظر إلى هذا البيان في هذا الضوء فإن الإشارات الغامضة الواردة فيه إلى دولة فلسطينية في غضون ثلاثة أعوام تبدو أكثر عرقوبية من سمك في البحر، ومثلها آفاق السلام في الشرق الأوسط.

□□□

بلغت الخسائر الفلسطينية منذ بداية الانتفاضة حد الكارثة: أكثر من 1800 قتيل و40,000 جريح.[2] عدد سكان بريطانيا 20 ضعف عدد السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. وبذلك تكون الخسائر الفلسطينية بالمقياس البريطاني نحو 36,000 قتيل و800,000 جريح في عامين.

الأغلبية الكبرى من الإصابات الفلسطينية هي في أوساط المدنيين. والمدنيون الفلسطينيون والعرب ما زالوا الطرف المستهدف للسياسات الصهيونية قبل إنشاء إسرائيل وبعده.

خلال الثلاثينات من القرن العشرين، قُتل مئات المدنيين الفلسطينيين جرّاء الألغام التي زرعت في أسواق الخضروات المزدحمة في القدس ويافا وحيفا، على أيدي منظمة الإرغون، المتحدر منها الليكود. (والإرغون هي التي فجرت فندق الملك داود في القدس في نيسان/أبريل 1946، وقتلت 96 من المدنيين البريطانيين والعرب واليهود، فيما وصفه دومينيك لابيير، أحد مؤلفيْ كتاب *O Jerusalem*، "أول عمل سياسي إرهابي واسع النطاق في التاريخ الحديث"[3]).

وخلال حرب 1948، قُتل المئات من المدنيين الفلسطينيين في عشرات من المجازر المخطط لها سلفاً، ومن جملتها مجزرة دير ياسين في التاسع من نيسان/أبريل 1948، التي نفذتها قوات الهاغاناه، والإرغون، وشتيرن.

وقد قامت هذه القوات نفسها بطرد نحو 750,000 مدني فلسطيني من بلداتهم

وقراهم سنة 1948.

كما طردت إسرائيل نحو 250,000 لاجئ مدني فلسطيني غيرهم عبر نهر الأردن سنة 1967، بينما قامت القوات الإسرائيلية في السنة نفسها بطرد 120,000 مدني سوري من سكان البلدات الصغرى والمزارعين من الجولان.

وخلال حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية خلال الفترة 1968 – 1970، دمرت إسرائيل مدن منطقة قناة السويس بكاملها، وتسببت بهجرة مئات الألوف من السكان المدنيين.

وعلى الجبهة اللبنانية، أُجبر مئات الألوف من المزارعين وسكان المدن الصغرى من الشيعة على النزوح مراراً وتكراراً عن الجنوب اللبناني المدمر في اتجاه بيروت.

وعلى امتداد السنين الخمسين الماضية، كان المنظِّر والممارس الرئيسي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية القائمة على الردود "الانتقامية" البالغة الشدة وتكتيك الاستفزاز، كمقدمة للتصعيد العسكري، أريئيل شاينرمان، المعروف أيضاً بإريك شارون. وما من زعيم سياسي إسرائيلي، عسكري أو مدني، لا يزال في السلطة منذ إنشاء إسرائيل قتل من المدنيين الفلسطينيين أو العرب أكثر من هذا الشخص، أو أنزل ضرراً بالمؤسسات والمنشآت المدنية الفلسطينية أو العربية أكثر منه.

برز شارون أول ما برز في تشرين الأول/أكتوبر 1953، يوم صمم ونفذ مع الوحدة 101، وهي وحدة عسكرية خاصة شكّلها، غارة على قرية قبية الفلسطينية، نسف خلالها 45 منزلاً قتل فيها 69 مدنياً، ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال. وقد ورد في تقرير الأمم المتحدة "أن وجود جثث ممزقة بالرصاص على مقربة من الأبواب وعدة طلقات على أبواب المنازل المدمرة يشير إلى أن السكان أُرغموا على البقاء في الداخل بينما كانت منازلهم تفجر فوقهم."[4] وقد باتت هذه الغارة نموذجاً يحتذيه الجيش الإسرائيلي من يومها.

في سنة 1964 طلب شارون، بينما كان على الجبهة السورية، من ضباطه "أن يجمعوا المعلومات عن عدد المركبات، والباصات، والشاحنات التي قد يتطلبها نقل جميع السكان العرب في شمال إسرائيل إلى البلاد العربية المجاورة."[5]

وفي سنة 1970 وحتى وقت قريب، كان يدعو إلى تقويض المملكة الأردنية للسماح للفلسطينيين بالاستيلاء على الأردن كوطن بديل.

وفي سنة 1980، قال مناحم بيغن شبه مازح إن شارون إذا ما أعطي وزارة الدفاع سيطوق مقر رئيس الحكومة بالدبابات.[6] فهل يدهشنا أنه فعل ذلك بعرفات؟

وفي لبنان سنة 1982، استناداً إلى صحيفة "النهار" الموثوق بها، كان مجموع العرب الذين قتلهم شارون – ومعظمهم من المدنيين – 17,500 نسمة. ومن أصل

هؤلاء 12,500 كانوا من الفلسطينيين.[7] وهذا قبل صبرا وشاتيلا.

ولم تكن آثار شارون في الحقل السياسي أقل تدميراً لفرص السلام. واستناداً إلى جيفري أرونسون، أبرز الخبراء الأميركيين اليهود بشؤون المستعمرات الإسرائيلية، فإن شارون هو الذي حول فكرة إسرائيل الكبرى إلى واقع؛ "ذلك بأنه لم يكن ثمة في نظر شارون خط أخضر... بل مجرد أرض إسرائيل... لم يكن ثمة ضفة غربية... ولا فلسطينيون، بل مجرد عرب أرض إسرائيل. فرؤيته ومفرداته إنما هي رؤية الصهيونية الحربية ومفرداتها."[8]

في سنة 1977، كشف شارون النقاب عن خطة استيطانية جديدة أطلق عليها "نظرة إلى إسرائيل في نهاية القرن". وكانت تلحظ توطين مليوني يهودي في الأراضي المحتلة.[9]

وشارون كان مهندس كتلة الليكود السياسية، وبطل غوش إيمونيم (حركة المستوطنين المتدينين المتطرفة)، والقوة الدافعة لعملية استيطان الخليل والهضاب الفلسطينية الوسطى، ومنشئ الطرق الالتفافية المقتصَر استعمالها على اليهود، والمنشأة خصيصاً للحؤول دون إمكان قيام كيان عربي متصل.[10]

وفي سنة 1979 قال عن الجولان: "لن نترك الجولان بأي ثمن، ولا حتى في مقابل السلام مع سورية."[11]

رؤيته الأخيرة لما يسميه الدولة الفلسطينية كان عبّر عنها في 18 كانون الثاني/يناير 2001. وهذه الرؤية تشتمل على 42٪ من الضفة الغربية، وقدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية الدائمة، ولا اعتراف بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، ومرحلة انتقالية غير محددة.

ومنذ وقت قريب صرح أن نتساريم (وهي مستعمرة صغيرة في وسط غيتو غزة) هي "تل أبيب".

وباقتحامه الحرم الشريف في 28 أيلول/سبتمبر 2000 وسع دائرة الصراع لتشمل العالم الإسلامي بأسره. وفي عملية "السور الواقي"، التي شنها ضد الفلسطينيين في 29 آذار/مارس 2002، كان الهدف المعلن القضاء على البنية التحتية لـ "الإرهاب" الفلسطيني. وما دمرته إسرائيل إنما هو المكاتب، والتجهيزات، والأثاث، وأجهزة الكومبيوتر، والأرشيفات في المصارف، والشركات، والمصالح التجارية، ومراكز الأبحاث، والبلديات، والسجون، ومخافر الشرطة، والمدارس، ومحطات الإذاعة، وسجلات الأراضي، والمحاكم، والوزارات على امتداد الطيف الإداري، بما في ذلك وزارة التعليم العالي ووزارة الاقتصاد الوطني.

يقول عوزي بنزيمان، كاتب سيرته الإسرائيلي، مختصراً شخصيته، إنه بعد حرب

لبنان سنة 1982 "افتُضح شارون كشخص... مخادع، محتال، فظ، أناني، ومصاب بجنون العظمة. ولم يكن يدرك شخصيته المرضية إلاّ قلة من الناس."[12]

هذا هو الشخص الذي يدعوه السيد بوش رجل السلام.

□□□

سيبقى الحادي عشر من أيلول/سبتمبر معلماً كبيراً في الوجدان الأميركي إلى جانب سواه من المعالم الكبرى التي تمتد رجوعاً حتى حربي فيتنام وكوريا، وصولاً إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، ثم الحرب الأهلية وتأسيس الجمهورية.

إدانة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر كانت عالمية، وكانت محقة. ونحن ندينها بصورة مطلقة، ومن دون تحفظ.

والمرة الأخيرة التي هوجمت فيها أرض الولايات المتحدة كانت سنة 1814، وعلى يد بريطانيا من دون الدول كلها. وكان ذلك منذ 188 عاماً. بيرل هاربور لم تكن أرض أميركا، وثمة قليل من الدول في العالم لم يتعرض لهجوم خلال الأعوام المئة والثمانية والثمانين الماضية.

إن صدمة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر تضاعفت بسبب الموقع المديني، والرمزية المركزية لأهدافها، واستخدام أعز منتوجات التكنولوجيا الأميركية ضد مخترعيها، ومدى الدمار البشري والمادي والبصري الذي أحدثته، وما أبداه مرتكبوها من استهانة بحياة الأبرياء، بما فيها حياتهم هم، وعمق كراهيتهم للولايات المتحدة.

وتمضي الولايات المتحدة، جرّاء صدمتها المستمرة، في إدراج جميع الأعمال السياسية الإرهابية تحت عنوان الإرهاب العريض، مقارنة إياها بـ "الفيروس". وهكذا، فكل أعمال "الإرهاب" مصدرها (كالفيروس) الأسباب نفسها، ولها الأعراض نفسها، وتستلزم التشخيص نفسه، والعلاج نفسه. ومن شأن هذا أن يمحو الظروف المحلية والإقليمية، ويلغي التاريخ، ويكبل البحث، ويشل القدرة على التحليل.

وفي هذا الجو ليس من المشروع مطلقاً أن يُطرح السؤال: "لِمَ يكرهوننا؟" أو إذا كان السؤال مسموحاً به، فالجواب حتمي مسبقاً وموضب سلفاً. فهو لن يشذ عن السكة المهيأة له، وعليه أن يسير في مسارات محددة، وأن يتلاءم مع الأسئلة والأجوبة المرخص لها. ولا يمكنه إلاّ أن يشكل تنويعاً ضمن عدد معين من الإجابات المقبولة: "لأننا أحرار؛ أو لأننا ديمقراطيون؛ أو لأننا أغنياء؛ أو لأن عندنا اقتصاد سوق حرة؛ أو لأننا مسيحيون؛ أو لأن ثقافتهم هي ثقافة حقد في جوهرها." والقاسم المشترك بين هذه وغيرها من الأجوبة الصحيحة هو أنها تحوّل النظر بعيداً عن الذات. ذلك بأن زبدة الوطنية اللاحقة للحادي عشر من أيلول/سبتمبر وكنهها هما منع سيل أفكارك من الجريان، وإن بصورة تجريبية أو حتى تشكيكية، في اتجاه تقصي أصول سياسية،

ناهيك عن سياسة الولايات المتحدة ذاتها. ولذا غدا تفحص الذات مستبعداً، والعمل السياسي الاستباقي، أو حتى الوقائي، أو العلاجي، مقيداً ومطوقاً. والأمر لا يقتصر على وسم بعض العمليات الفكرية بسمة التابو المطلق، بل إنه يتعدى ذلك ليجعل مجرد التلفظ ببعض العبارات والمصطلحات شائبة تشوب طهارة كلامك. من ذلك أن الكلام مثلاً على "دورة عنف" بين الإسرائيليين والفلسطينيين في الشرق الأوسط يعد اقترافاً لمعصية "المساواة الأخلاقية" بين الفريقين.

ومن أفدح النتائج المدمرة لهذا كله، فيما يتعلق بمشكلة فلسطين، ما قام به بوش الابن من مماهاة بين عرفات وبن لادن، ومماهاة بين الفلسطينيين والطالبان – وهذا هدف شارون منذ البداية. أمّا مدى نجاح شارون في تحقيق هدفه فيتضح من تسمية بوش الابن لشارون عضواً مشاركاً في هيكل محبي السلام، ومن فقدانه الذاكرة حيال طلباته المتكررة من شارون، منذ ستة أشهر، أن يسحب قواته من الأراضي الفلسطينية "الآن"، و"فوراً"، و"من دون تأخير".

□□□

تمت أول عملية انتحارية فلسطينية في 14 أيلول/سبتمبر 1993، أي في اليوم التالي لأوسلو. وكانت رسالة موجهة في الأساس إلى عرفات. وقد تبعها أول عملية قتل انتحارية إسرائيلية قام بها غولدشتاين، في الخليل، في شباط/فبراير 1994، التي كانت هي أيضاً احتجاجاً على أوسلو. ويحظى قبر غولدشتاين بالإجلال من قبل قطاعات من اليمين في إسرائيل، باعتباره مزاراً مقدساً تحت حماية الجيش الإسرائيلي.

إن تدنيس قبر إبراهيم، عليه السلام، من قبل غولدشتاين قد زاد البعد الديني للصراع تفاقماً، وأطلق سلسلة من عمليات التفجير الانتحارية الفلسطينية، الدينية الدوافع.

منذ سنة 1994 حتى نهاية سنة 2001، كان منفذو العمليات الانتحارية كلهم، ومن دون استثناء، ينتمون إلى جماعات فلسطينية تعارض عرفات وعملية أوسلو التي يرعاها. وكادت عمليات ملاحقة قوات عرفات الأمنية لهذه الجماعات تفضي إلى شفير الحرب الأهلية السافرة، أكثر من مرة.

أولى عمليات التفجير الانتحارية التي نفذتها كتائب الأقصى المنتمية إلى "فتح" لم تبدأ إلاّ في أواخر كانون الثاني/يناير 2002، وبعد هجوم إسرائيلي متماد ومنظم ضد جهاز الأمن الفلسطيني. ونظراً إلى التفاوت السحيق في نوعية الأسلحة بين الطرفين فقد كانت هذه التفجيرات بمثابة ردة الفعل التي لا محيد عنها على هذه السياسة الإسرائيلية الاستفزازية التي بدأها براك، والتي استهدفت القادة الأمنيين في السلطة الفلسطينية، وأفرادها، ونقاط تفتيشها، ومواقف سياراتها، وثكناتها،

وسجونها، ومقارها – وهي سياسة وسعها شارون توسيعاً كبيراً وصعّدها لحظة تسلمه مقاليد السلطة. ومن نافل القول إن سياسة كهذه ليس من شأنها أن تزيد في حوافز قوات السلطة الفلسطينية على مواجهة الاستشهاديين الانتحاريين المعارضين، وربما اتبعها شارون عمداً توخياً لهذه الغاية التدميرية.

إن قتل الأبرياء يجب أن يدان في الظروف كافة. وهو يقيناً مناف لتعاليم القرآن الذي يقول: ﴿... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (المائدة: 32).

والتقوى معرَّفة تعريفاً صريحاً في القرآن (آل عمران: 134): والمتقون هم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لكن عندما يتقلص ما تبقى من مساحة بلدك أمام عينيك جرّاء اغتصابه من قبل المستوطنين المسلحين الذين تدعمهم مقاتلات الـ "إف – 16"، وطائرات الأباتشي، ودبابات ميركافا، وعندما لا يتورع خصمك عن استخدام ترسانته ضد مساكنك وموارد عيشك، ولا سلاح لديك إلاّ السلاح الخفيف، وعندما يكون المجتمع الدولي وجيرانك عاجزين عن مد يد العون إليك، فإن اللجوء إلى العمليات الانتحارية لا يعود مستعصياً على الفهم.

على كل حال ليست هذه التهديدات، بأية صورة من الصور، مما واجهته منظمة القاعدة قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. ولا مجال للقياس هنا على الإطلاق.

وللذين يزعمون رؤية مصدر تراثي مميّز عن الغرب لقتل الأبرياء في الحرب نقول: إن قتل الأبرياء، حتى عمداً، ليس بالأمر غير المألوف في الحروب التي خاضتها القوى الغربية العظمى، مثلما يتبين بمزيد من الوضوح من الحرب العالمية الثانية – لا في الميادين الأوروبية فحسب، بل وفي اليابان على وجه التخصيص. فالخطر على الوطن والديار، الذي واجهته تلك القوى الغربية عندما لجأت إلى تلك التكتيكات ضد السكان المدنيين في أراضي العدو في الحرب العالمية الثانية أو فيتنام، مثلاً، لم يكن أعظم نوعاً أو قرباً، أو أوشك حدوثاً من الخطر الذي يشكله الجيش الإسرائيلي بقيادة شارون على وجود الجسم الفلسطيني السياسي والمدني بالذات.

□□□

إن الروايتين الوطنيتين الفلسطينية والإسرائيلية حافلتان بالأساطير. ومنذ كامب ديفيد في تموز/يوليو 2000، نشأت أسطورة إسرائيلية جديدة.[13] وسياقها أشبه بما يلي: "في كامب ديفيد قدم براك لعرفات أسخى تسوية سلمية يتصورها العقل، لكن عرفات أعرض عنها. لِمَ؟ لأن التزام عرفات التسوية السلمية في أوسلو سنة 1993 إنما

كان خدعة، ولأنه مصمم على تدمير إسرائيل بالإرهاب والتفجيرات الانتحارية." ومن سوء الحظ أن كلينتون، الذي كان على علم بحقيقة الأمر، أنحى باللوم على عرفات.

لا بد من بعض الملاحظات في هذا الشأن:

أولاً: القمم تحتاج إلى إعداد مفصل، وقد طالب عرفات بإعداد كهذا. غير أن كلينتون وبراك كانا على عجل. وإذ تخوف عرفات من إثارة غضب كلينتون وافق، لكن بعد أن حصل من كلينتون على وعد أن اللوم لن يُنحى به على الفلسطينيين في حال الفشل.

ثانياً: خلال كامب ديفيد لم يلتق براك وعرفات في مفاوضات منفردة وجهاً لوجه. لِمَ لا؟ بسبب نفور براك المزاجي من عرفات!

ثالثاً: عندما تحتسب إسرائيل مساحة أراضي الضفة الغربية، التي "ستعطى" للفلسطينيين، تغفل دائماً عدة تفصيلات: القدس الشرقية ذات الحدود البلدية الموسعة، ونتوء اللطرون، وسطح مياه شمال غرب البحر الميت، التي يبلغ مجموع مساحتها نحو 5,4٪ من أراضي الضفة الغربية. بعبارة أُخرى: إن جميع النسب المئوية التي يقدمها الإسرائيليون عن الضفة الغربية يجب أن يحذف منها دائماً نسبة 5,4٪.

رابعاً: أرض الوطن، كما جسم الإنسان، ليست مسألة كمية. والأراضي التي كان الإسرائيليون ينوون الاحتفاظ بها، في القدس ومن حولها، هي الأكثر خطورة سياسياً، واقتصادياً، واستراتيجياً، وسيكولوجياً، على قابلية الدولة الفلسطينية للحياة.

خامساً: على الرغم من تنازلات براك في القدس الشرقية، فإن المناطق التي خصصت للفلسطينيين لا تشكل معاً حلقة اتصال جغرافي بين منطقة رام الله/نابلس في الشمال ومنطقة بيت لحم/الخليل في الجنوب، وفي هذا إلغاء لدور القدس كعاصمة لفلسطين، الذي تم التظاهر بالقبول به.

سادساً: للمرة الأولى منذ سنة 1948 خرجت الولايات المتحدة من كامب ديفيد برفض قاطع لحق الفلسطينيين في العودة. وكان هذا صدمة هائلة، نظراً إلى أن الأمم المتحدة كرست هذا الحق مراراً وتكراراً عبر العقود بمشاركة أميركية.

سابعاً: والصدمة الهائلة الأُخرى كانت القبول الأميركي الأكثر من ضمني في كامب ديفيد بشرعية المستوطنين في الأراضي المحتلة الذين تزايد عددهم 100٪ منذ أوسلو. وكانت الصدمة أعظم بسبب تعدد إدانات الأمم المتحدة، بمشاركة الولايات المتحدة، لعدم شرعية المستعمرات.

ثامناً: غير أن أم الصدمات كانت مطالبة براك، الاشتراكي العلماني، العمالي، بالسيادة اليهودية على الحرم الشريف؛ وهي مطالبة تبناها الليبرالي، العلماني، الديمقراطي كلينتون. ذلك بأنه لم يحدث منذ المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897 أن

تقدم زعيم صهيوني في السلطة بمطلب كهذا، ولم يحدث منذ إنشاء إسرائيل سنة 1948 أن فعل ذلك رئيس أميركي سابق.

إن تضافر هذه الاعتبارات، علاوة على 34 عاماً من الاحتلال العسكري المتواصل، و"زيارة" شارون للحرم الشريف في أيلول/سبتمبر 2000، كانت الشرارة في اندلاع انتفاضة الأقصى. فقد جاء شارون على رأس رهط من أعضاء الكنيست الليكوديين، وبحراسة ألف شرطي مدجج بالسلاح وطوافات الأباتشي، وكانت رسالته واضحة: إذا كان براك أكد السيادة اليهودية على الحرم الشريف لفظياً في كامب ديفيد، فإنه (أي شارون) قد جاء ليؤكدها بجزمته، **في الموقع نفسه**.

□□□

إن من أخطر تطورات المشكلة الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي، في العقود القليلة الماضية، تنامي أهمية البعد الديني. وقد كانت سنة 1967، وما حملته من انتصار إسرائيلي ساحق على مصر والأردن وسورية، في غضون بضع ساعات، بمثابة معلم في هذا المنظور. فمن جهة، سدد الانتصار الضربة القاضية إلى القومية العربية كما اعتمدها العرب في ظل زعامة جمال عبد الناصر، رئيس مصر. وأعطى، من جهة أُخرى، دفعاً هائلاً للقومية الدينية اليهودية في إسرائيل وللمسيحية القائلة بعودة المسيح المبكرة خارج إسرائيل، وفي الولايات المتحدة تحديداً.*

قبل سنة 1967 كانت الصهيونية حركة تغلب عليها العلمانية. وقد تأكلت هذه العلمانية منذ تلك السنة. فقد كان انتصار سنة 1967 مسكراً تماماً. فللمرة الأولى منذ أن قوض الإمبراطور هادريان أورشليم اليهودية في سنة 135 للميلاد، وحوّلها إلى مدينة إيليا كابيتولينا الرومانية "الخالية من اليهود"، وقع كامل أرض إسرائيل (إيرتس يسرائيل)، وفي جملتها القدس بكاملها و"جبل الهيكل" (الحرم الشريف)، تحت السيطرة العسكرية اليهودية الكاملة المنتصرة. وقد اعتبر ذلك توكيداً للرضى الإلهي، ودليلاً على صحة كون الشعب اليهودي شعباً مختاراً، وأفضى إلى نشوء حركة الاستيطان القومية الدينية، غوش إيمونيم (كتلة المؤمنين)، المصممة على إعادة بناء الهيكل واستيطان كامل أرض الميعاد إلى الأبد، إتماماً للعهد المقطوع مع يهوه (الله).

أمّا عند المسيحيين القائلين بعودة المسيح المبكرة، فقد كان انتصار إسرائيل وتنامي الاستيطان اليهودي في الأراضي الفلسطينية المحتلة تنفيذاً لخطة الرب، ونذيراً بدنو المعركة الغائية الفاصلة، وأرماغيدون، والرؤيا النبوئية، ونهاية الأيام، وقرب عودة المسيح ثانية. وإن تعويق الاستيطان اليهودي، أو الأسوأ من ذلك إيقافه، إنما هو

(*) الاعتقاد بعودة المسيح يؤمن به جمهرة التوحيديين من مسلمين ومسيحيين، ويُقصد بهم هنا المغالين في الاعتقاد بهذا الأمر، وهم فئة يقطن معظمهم في الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة.

عرقلة للغاية الإلهية، وتأخير لحلول حكم المسيح الألفي.

وعلى الرغم من الاحتكاكات التقليدية بين الأميركيين اليهود والأميركيين المسيحيين المؤمنين بعودة المسيح المبكرة، فإن سنة 1967 قرّبت فيما بينهم. فقد قام مناحم بيغن، رئيس الحكومة الإسرائيلية اليميني، منذ سنة 1977، بإرساء أسس شراكة سياسية رعاها وعززها رئيس الحكومة الإسرائيلية الليكودي بنيامين نتنياهو. ويُعتقد أن الرئيس ريغن نفسه كان من المؤمنين بعودة المسيح المبكرة، وقد أعطى دفعاً قوياً وكثيراً من الاحترام المفقود سابقاً لهذه الحركة في الولايات المتحدة.

من المعتقد أن المسيحيين المؤمنين بعودة المسيح المبكرة يشكلون أكثر من ربع الأعضاء الجمهوريين في الكونغرس اليوم. وربما كان جورج بوش الابن إنجيلياً، إن لم يكن من المؤمنين بعودة المسيح المبكرة.[14] وقد رُوي حديثاً أن كارل روف، المستشار الأول لجورج بوش الابن في الشؤون الداخلية، قال إن ثمة 19 مليون صوت إنجيلي في أميركا يجب التقاطها، ولم يصوت منها لجورج بوش الابن إلاّ 14 مليون في الانتخابات الأخيرة.[15] وإن ما يجعل ذلك نذيراً بالشؤم أكثر هو أنه بعد انحطاط القومية العربية في إثر هزيمة 1967، فإن الفراغ الأيديولوجي قد راحت تملأه الحركات الإسلامية.

المدارس الإسلامية الدينية، فيما يقال لنا، هي المسؤولة عالمياً عن التحريض على العنف الديني. غير أننا نعتقد أنه فيما يتعلق بالشرق الأوسط، لا تمتلك الاحتكار في هذه المسائل أية من الديانات التوحيدية الثلاث، وأن الإصلاح التربوي الحقيقي يجب ألاّ يكون تمييزياً، بل شاملاً، ليضم في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها الأنشطة المؤذية التي تقوم بها جماعات أصولية مسيحية إنجيلية ويهودية. فخلافاً للكنائس الأساسية الأميركية المسيحية والكبرى يسيطر إنجيليون أميركيون بارزون – من منزلة بات روبرتسون، وجيري فالويل، وفرانكلين غراهام، وجون ريد – على إمبراطورية اتصالات تبث يومياً وبلا انقطاع الافتراء والحقد والتزوير في حق الإسلام، والعرب، والفلسطينيين. ويقوم غلاة الناشطين المسيحيين المؤمنين بعودة المسيح المبكرة، والجمعيات اليهودية الأورثوذكسية، فيما يقومون به، بالتخطيط العلاني لإعادة بناء الهيكل على أنقاض الحرم الشريف، وتحظى تبرعاتهم بإعفاءات ضريبية من الحكومة الأميركية باعتبارها جمعيات خيرية أميركية.[16]

□□□

لعل البعض منكم استنتج أن المتحدث إليكم ليس شديد التفاؤل بالمستقبل. فالمستقبل القريب والمتوسط يبدو كثير التجهم، وسوف يصير إلى الأسوأ، الأسوأ جداً.

مع ذلك، فإن ملامح المصالحة التاريخية بين الإسرائيليين والفلسطينيين ماثلة

للعيان. فما من شـيء فعله عرفات في كامب ديفيد، أو خلال محادثات طابا اللاحقة في كانون الثاني/يناير 2001، يتضمن بأية صورة من الصور اطّراح الحل المبني على وجود دولتين، تتعايش فيه دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة بسلام جنباً إلى جنب مع دولة إسرائيلية آمنة ومعترف بها داخل حدود ما قبل حزيران/يونيو 1967.

وإنه لمما يجانب الحقيقة، ببساطة، الزعم أن الفلسطينيين نبذوا محادثات السلام بعد كامب ديفيد. فقد عُقدت العشـرات من الاجتماعات الإسـرائيلية – الفلسـطينية الرفيعة المستوى في القدس، بعد كامب ديفيد، لمواصلة المحادثات. كما عقد المزيد من تلك اللقاءات في الولايات المتحدة في كانون الأول/ديسـمبر 2000، على الرغم من اجتياح شـارون للحرم الشـريف في أيلول/سـبتمبر من السـنة نفسـها. وقد اسـتندت المقترحات التي طرحها كلينتون في 23 كانون الأول/ديسـمبر إلى هذه المحادثات. وكان عرفات شـديد الحذر حيال مقترحات كلينتون هذه، غير أن محادثات طابا الإسرائيلية – الفلسطينية الرفيعة المستوى في كانون الثاني/يناير كانت تستند إلى تلك المقترحات. وفي نهاية محادثات طابا أعلن بيان فلسطيني – إسرائيلي مشترك التقدم في المحادثات، والأمل باستئنافها بعد الانتخابات الإسرائيلية.[17] لكن شارون تسلم زمام السلطة بعد أسبوع، وسحق كل أثر لهذا الأمل. ومنذ ذلك التاريخ تكفل ولي العهد السـعودي، الأمير عبد الله، بتأمين موافقة جامعة الدول العربية الجماعية والعلانية على اقتراحه التطبيع التام بين الدول العربية وإسرائيل في مقابل انسحاب إسرائيل الكامل إلى حدود 1967.

وقد زعم الرئيس بوش، مؤخراً، أنه يحبذ قيام دولة فلسـطينية قادرة على البقاء اقتصـادياً وسـياسـياً. وينتظر الاتحاد الأوروبي واليابان وروسـيا، انتظار الخدم الطيعين، توجيهات واشنطن في هذا الصدد.

الفلسـطينيون، في سـوادهم الأعظم، يعلمون ويقبلون أن حق اللاجئين في العودة يجب ألاّ يخل بالتوازن الديموغرافي في إسرائيل.

ومن شأن عاصمة فلسطينية في القدس الشرقية أن تقابل بعاصمة إسرائيلية في القدس الغربية، شرط ألاّ تخنق إسرائيل القدس الشرقية بعاصمة يهودية شاسعة، مترامية الأطراف، تحيط بها من كل جانب.

العقبة الكبرى في رأيي هي الحرم الشريف في نظر المسلمين، أي جبل الهيكل في نظر اليهود.

ففي سياق المقترحات التي تقدم بها كلينتون في كانون الأول/ديسمبر 2000، **عقب كامب ديفيد**، اقترح الفكرة المسـتغربة القاضـية بتقسـيم الحرم الشـريف: فوق الأرض للمسلمين، وتحت الأرض لليهود. ربما كان علينا أن نجري تجربة لهذا الاقتراح

في روما ولندن: فوق الأرض للكاثوليك، وتحت الأرض للأورثوذكس، في كاتدرائية القديس بطرس؛ فوق الأرض للأنكليكان، وتحت الأرض للكاثولكيك، في كاتدرائية كانتربيري!!

إذا ما أصرت إسرائيل على هدف كهذا، مستندة إلى دعم المسيحية الإنجيلية الأميركية، فنحن إذاً مقبلون بخطى خفيفة وسريعة نحو ما يوسم بصراع الحضارات.

في سنة 1967، قلبت إسرائيل بالجرافات الوضع السائد المكرس بتقادم الزمن عند حائط المبكى (وهو قطاع من الحائط الغربي الخارجي للحرم الشريف)، الذي يدعى البراق في الإسلام. دعونا نترك الوضع عند هذا الحد: حائط المبكى لليهودية، والحرم الشريف للإسلام.

غير أن أي حل على هذا النسق السياسي والديني يعد لعنة بغيضة في نظر شارون. فهو ضد ما لم يزل يفكر فيه ويقاتل من أجله منذ أيام قبية سنة 1953. وشارون مصمم على البقاء في الحكم لفترة مقبلة غير قصيرة: فموعده المقبل مع الناخبين الإسرائيليين يقع في سنة 2003، وهو يتطلع إلى استمرار الشراكة المثمرة مع بوش الابن في ولاية ثانية تجدد في الانتخابات الرئاسية سنة 2004.

إن مفتاح الحل لا يزال، مثلما كان منذ سنة 1948، في البيت الأبيض. فالولايات المتحدة لم تزل، سواء أرضانا ذلك أو لم يرضنا، الداعية والحامية، والداعمة بالمدد، والمناصرة الناطقة بلسان إسرائيل. فمنذ سنة 1948 حتى اليوم، من خطة دالت سنة 1948 إلى عملية "السور الواقي" سنة 2002، كل العمليات العسكرية الإسرائيلية الكبرى (باستثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956) سبقها ضوء أخضر ساطع، أو أقل سطوعاً، من البيت الأبيض. وهذا صحيح بالنسبة إلى حروب 1948، و1967، و1982. وهو صحيح اليوم.

هل يعني بوش الابن ما يقول، وهل يقول ما يعني، عندما يتحدث عن دولة فلسطينية قابلة للحياة سياسياً واقتصادياً – أي نقيض ما يفكر فيه شارون تماماً؟ هل بوش الابن مستعد لأن يقول ذلك **بالعبرية** لشارون، وبالإنكليزية الصريحة للمؤسسة اليهودية الأميركية، على الرغم من توقيعه الأسبوع الفائت قانوناً يقضي بأن تنص الوثائق الرسمية الأميركية التي تذكر إسرائيل على كون القدس عاصمة لها؟

هل يملك بوش الابن حقاً خريطة للطريق تظهر فيها المعالم الفلسطينية **والعراقية**، وكيف يتصل بعضها ببعض وببرنامجه لانتخابات سنة 2004؟

أم هل أن تركيز واشنطن على كون عرفات غير جدير بالثقة، وعلى الفساد الفلسطيني (وذلك بعد مقابلته، في أرجح الظن، بالمعايير الخالية من الشوائب والغالبة

على الشـركات التجارية الكبرى في مكان آخر)، ما هو إلاّ ذريعة لعدم القيام بأي عمل في موضـوع الدولة الفلسـطينية؟ وهل نظريتا بوش وشـارون ما هما إلاّ وجهان لعملة واحدة؟

إن مستقبل فلسطين وإسرائيل، مستقبل سلام الشرق الأوسط واستقراره، والمصالح الأميركية والغربية في المنطقة، يكمن في الأجوبة عن هذه الأسئلة.

* * *

إن عملية "السـور الواقي" التي شـنها شـارون في 29 آذار/مارس يجب أن يُنظر إليها من منظور تاريخي. فهي، في جوهرها، أحدث مرحلة من مراحل حرب الاستقلال الفلسطينية الدائرة منذ سنة 1897، أي ما ينوف على قرن من السنين. المراحل الكبرى السـابقة لهذه الحرب هي: انتفاضـة 1929، والثورة الكبرى ضـد بريطانيا 1936 – 1939، والثورة ضـد التقسـيم (تشـرين الثاني/نوفمبر 1947 – أيار/مايو 1948)، والكفاح المسـلح 1965 – 1987، والانتفاضـة الأولى 1987 – 1993، وانتفاضـة الأقصى منذ أيلول/سبتمبر 2000.

الهدف الصـريح والمعلن للحركة الوطنية الفلسـطينية، في سـوادها الأعظم، منذ المؤتمر الوطني الفلسطيني في الجزائر سنة 1988، لم يزل تحرير الأراضي الفلسطينية التي احتلت سنة 1967 وإقامة دولة فلسطينية سيدة مستقلة على هذه الأراضي إلى جانب إسرائيل بالتعايش السلمي معها، والاعتراف المتبادل بينهما. وهذا لا يزال هدف التيار الأساسي في الحركة الوطنية الفلسطينية، ويجب أن يظل بلا انحراف كذلك.

ليس الفلسـطينيون أول شـعب يقاتل الاسـتعمار ويدفع ثمناً باهظاً لقتاله هذا. فشجرة الحرية لا تنمو بالماء وحده.

والتاريخ يظهر أن الإمبراطوريات لا تدوم إلى الأبد. فثمة قوى اسـتعمارية أعظم من إسـرائيل انتهى حكمها الاسـتعماري. أين إمبراطوريتا أشـور وروما؟ أين إمبراطوريات فرنسـا، وهولندا، وإيطاليا، وبلجيكا، والبرتغال، وألمانيا، وروسـيا، ... وبريطانيا العظمى؟ ■

المصادر

(1) للاطلاع على الآراء الاستراتيجية لنائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد ومساعديهما الأساسيين، أنظر:

Jason A. Vest, "The Men from JINSA and CSP," *The Nation*, September 2, 2002; Brian Whitaker, "Playing Skittles with Saddam," *The Guardian*, September 3, 2002; Frances Fitzgerald, "George Bush and the World," *The New York Review of Books*, September 26, 2002.

(2) هذه أحدث التقديرات المتوفرة لدى مؤسسة الدراسات الفلسطينية في واشنطن، دي. سي. وفي 12 أيار/مايو 2002، قدرت "البوسـطن غلوب" عدد الفلسـطينيين الذين قتلوا منذ بداية

الانتفاضة بـ "أكثر من 1600". وفي 2002/4/11، ذكرت صحيفة "الحياة"، استناداً إلى مصادر وزارة الصحة الفلسطينية، أن عدد الإصابات الفلسطينية حتى التاسع من نيسان/أبريل 2002، بلغ 1482 قتيلاً و35,476 جريحاً.

(3) أنظر نبذة بقلم Dominique Lapierre on Thurston Clarke, *By Blood and Fire: The Attack on the King David Hotel* (London: Hutchison, 1981).

(4) أنظر: E.H. Hutchison, *Violent Truce* (New York, 1956), p. 157, Appendix B.

(5) Uzi Benziman, *Sharon: An Israeli Caesar* (New York: Adana Books, 1985), p. 97.

(6) Geoffrey Aronson, *Israel, Palestinians and the Intifada, Creating Facts on the West Bank* (London: Kegan Paul International and Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1990), p. 130.

(7) "النهار" (بيروت)، 1982/9/1.

(8) Aronson, op. cit., p. 67.

(9) Ibid., p. 70.

(10) Ibid., p. 71.

(11) Ibid., p. 99.

(12) Benziman, op. cit., p. 263.

(13) للاطلاع على تقارير مفصلة عن محادثات كامب ديفيد، أنظر:

Robert Malley and Hussein Agha, "Camp David: The Tragedy of Errors," *New York Review of Books*, August 9, 2002;

ومقابلة آري شفيط المطولة مع شلومو بن – عامي في: *Haaretz*, September 14, 2001، والتي نشرت مقتطفات مستفيضة منها في:

Journal of Palestine Studies, vol. XXXI, no. 2, Winter 2002, pp. 152-160.

(14) *Washington Post*, February 1, 2002.

(15) *New York Times*, December 12, 2001.

(16) أنظر: Gershom Gorenberg, *The End of Days: Fundamentalism and the Struggle for the Temple Mount* (New York: The Free Press, 2000).

(17) أنظر تقرير مبعوث الاتحاد الأوروبي، ميغال موراتينوس، عن محادثات طابا في:

Journal of Palestine Studies, vol. XXXI, no. 3, Spring 2002, pp. 81-89.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf